Received :9 / 1 / 2025 Accepted: 26 / 2 / 2025 Published : 11 / 1 / 2026

قراءة في الرؤية البيانية للأعجاز القرآني عند الدكتور عودة الله القيسي

باسم علي حسين محمد أ.م.د. احمد حنون ميس

bassim.ali1996.5@uomustansiriyah.edu.iq alatabialatabi1986@yahoo.com

جامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

الملخص:

يتناول هذا البحث رؤية الدكتور عودة الله القيسي في بيان وجه الاعجاز البياني في النصوص القرآنية من طريق المستوى النحوي والآيات المتباعدة في اهم مؤلفاته وهو (سر الاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة، والاعجاز اللغوي في القران، والاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام) وقد تعرض البحث للمسائل النحوية مثل التقديم والتأخير والحذف والمبني لا ل يتسم فاعله والتشابه والاختلاف في النصوص القرآنية ورؤية الدكتور القيسي في بيان وجه الاعجاز فيها مخالفا من سبقه في بيان اللطائف والمعاني الدقيقة للألفاظ المستعملة في النص القرآني وان الالفاظ وان كانت مشتقة من اصل لغوي واحد الا انها لا تسد مسد الاخرى في سياقها.

الكلمات المفتاحية : القيسي، الإعجاز، اللفظ، المعنى.

Reading in the rhetorical vision of the miracle of the Qur'an according to Dr. Awda Allah Al-Qaisi

Basem Ali Hussein Mohammed Prof. Dr. Ahmed Hanoun Mays

Al-Mustansiriya University, College of Education-Department of Qur'anic Sciences and Islamic Education

Abstract

This research deals with Dr. Awda Allah Al-Qaisi's vision in explaining the aspect of rhetorical miracle in the Quranic texts through the grammatical level and the distant verses in his most important works, which are (The Secret of Miracle in the Diversity of Derivative Forms, the Linguistic Miracle in the Quran, and the Linguistic Miracle in the Stories of Noah, peace be upon him). The research dealt with grammatical issues such as presentation, delay, deletion, the passive voice, similarity and difference in the Quranic texts and Dr. Al-Qaisi's vision in explaining the aspect of miracle in them, differing from his predecessors in explaining the subtleties and precise meanings of the words used in the Quranic context, and that the words, although they are derived from one linguistic origin, do not replace the other in their context.

Keywords : Al-Qaisi, miracle, word, meaning

المقدمة

الحمد لله المعطي، ذو النعمة والإحسان الدائم، خالق الإنسان، وخالق الأكوان، الذي جعل كتابه معجزة على مر العصور، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير البشر، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام وعلى من سار على نهجه الى يوم الدين.

أما بعد:

فالقرآن الكريم أعظم معجزة تحدى الله تعالى بها الإنس والجن قال تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا).

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

وبقي العجز والتحدي بعد أن انهار أمامه البلاغيون وغرقوا في بحر بلاغته، فهو بحر لا تدرك أعماقه، ولا تنتهي عجائبه، ولا تنضب درره، ولذلك كلما وقف العلماء على جانب معين منه تنفتح لهم جوانب كثيرة، وتتبين لهم وجوه كثيرة لإعجاز القرآن، ويعد الإعجاز البياني أبرز هذه الوجوه لأنه يظهر في جميع سور القرآن، والعلماء الذين بحثوا في مسألة الإعجاز البياني كثيرون، ولكل عصر رجاله، وواحد من رجال هذا العصر هو الدكتور عودة الله القيسي (ت:1442هـ)، ولذلك قررت بيان رؤية الدكتور عودة الله القيسي للإعجاز البياني في النصوص القرآنية في مؤلفاته ومن ابرزها (سر الاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة، والاعجاز اللغوي في القرآن الكريم) إذ تحوي على كنوز العلم والمعرفة ، والدرر التوضيحية الرائعة والتحف، التي توحي بالعلم الذي تذخر به.

اسباب اختيار الموضوع:

1- الرغبة في معرفة وجوه الاعجاز البياني في القران الكريم وبخاصة عند الدكتور عودة الله القيسي.

2- تجنب بعض الباحثين في علوم القرآن الخوض في مثل هذا النوع من الدراسات لأن ذلك يتطلب معرفة بالبلاغة والنحو.

3- اسلوب الدكتور عودة الله القيسي المميز في بيانه لوجه الاعجاز وتحليله للألفاظ في ضوء النصوص القرآنية.

4- خدمة كتاب الله تعالى وهذا العمل من هذا النوع، نحتسب به أجراً وثواباً من الله عز وجل.

اهداف البحث:

1- توضيح اهمية الاعجاز البياني واثباته في القران الكريم.

2- بيان جهود الدكتور عودة الله القيسي واهتمامه بالإعجاز البياني من مؤلفاته.

3- الوقوف على اراء الدكتور القيسي في بيانه للنصوص القرآنية وتحليلها وبيان رأيه الى جانب رأي من سبقه من القدماء والمعاصرين.

4- توضيح أثر الاعجاز البياني في اثبات صدق القران وعظمته واظهار اكاذيب المشركين وافترائهم.

الدراسات السابقة:

لا يخفى ان كتب القدماء والمحدثين والمعاصرين تناولت الاعجاز البياني وتحدثت عنه لكن في ما يتعلق في هذا الموضوع بالخصوص لم اجد رسالة علمية او بحثا يتناول هذه الدراسة.

منهج الدراسة :

قد نحوت في هذا البحث المنهج التحليلي، والمنهج المقارن وذلك من بيان اراء الدكتور القيسي، وتحليلها بطريقة علمية وتوضيح مستويات الاعجاز البياني وعرض النصوص القرآنية التي توضح وجه الصورة البيانية ثم اجراء موازنات بين اراء بعض السابقين من القدماء والمعاصرين ورأي الدكتور القيسي للإحاطة قدر المكان بأوجه الاتفاق والاختلاف بينها.

خطة البحث : تضمنت خطة الدراسة مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة : تشمل على اسباب اختيار الموضوع واهداف البحث والدراسات السابقة ومنهج الدراسة.

التمهيد : يشتمل على التعريف بالأعجاز البياني وحياة الدكتور القيسي.

المبحث الاول : الرؤية البيانية على المستوى النحوي عند الدكتور القيسي.

المبحث الثاني : الرؤية البيانية على مستوى الآيات المتباعدة عند الدكتور القيسي.

الخاتمة : وتشمل على اهم النتائج

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

التمهيد:

اولاً : الاعجاز البياني بمعناه اللغوي والاصطلاحي :

الاعجاز لغةً :

قال ابن فارس (ت 395هـ) : " العين، والجيم، والزاي : أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشي ، فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي ضعيف" (ابن فارس، 1993، صفحة 232/4)

ويقول ابن منظور (ت711هـ) في اللسان :"ومعنى الإعجاز الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي فاتني" (ابن منظور، 1994، صفحة 2417/4)

الاعجاز اصطلاحاً:

عرف القاضي عبد الجبار(315هـ) الإعجاز في القرآن بأنه:" أن يكون من المستحيل على الفصحاء السابقين أن يأتوا بمثل ما جاء به القرآن، في المستوى الذي تميز به" (عبد الجبار ، 2012، صفحة 79)

وعرفه الجرجاني (ت471هـ) الإعجاز في الكلام قال هو :" أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق" (الجرجاني، 2004، صفحة 64)

واما الدكتور القيسي فقد عرفه :" الاعجاز يعني أن كل ما ورد في القران صحيح صادق لأن الاعجاز كمال والخطأ والكذب نقص والكمال والنقص نقيضان لا يلتقيان، قال تعالى: (لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة فصلت: الآية،42) (القيسي، 1996، صفحة 326)

البيان لغةً:

جاء في تاج العروس:" البَيانُ إخْراجُ الشيءِ من حيّزِ الأَشْكالِ إِلَى حيّزِ التَّجَلِّي، وَفِي المَحْصول: البَيانُ إظْهارُ المعْنَى للنَّفْسِ" (الزَّبيدي، 1989، صفحة 304/34)

البيان اصطلاحاً :

عرفه الجاحظ (255هـ) وهو من الاوائل من كتب في البيان :"والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع". (الجاحظ، 2002، صفحة 82/1)

وعرفه مصطفى المراغي(ت1371هـ):" علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال". (المراغي، 2003، صفحة 207/1)

مصطلح (الاعجاز البياني) بمعناه التركيبي الوصفي

عرفه الدكتور فهد الرومي :" أبرز وجوه الإعجاز وأظهرها إذ هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن، فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا، وهم تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب أو التشريع أو نحو ذلك، فكان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها". (الرومي، 2003، صفحة 282/1)

ثانياً: التعريف بالدكتور عودة الله منيع القيسي :

1- اسمه ومولده ونشأته : عودة الله منيع سالم القيسي أديب وناقد لغوي ومتخصص في اعجاز القران أردني الأصل ، ولد في محافظة (الكرك) في الأردن عام 1938/9/17م. (الجدع، 2000، صفحة 852/2)

يقول الدكتور القيسي درست إلى الصف السادس في بلدتي ثم درست الصف السابع في بلدة (العراق) في محافظة الكرك، وهي تبعد حوالي عشر كيلووات مترية عن بلدتنا، باتجاه الشمال الشرقي. ثم درست الثامن والتاسع في مدينة المزار، ثم درست العاشر والحادي عشر في مدينة الكرك وكانت دفعتي آخر (المترك) وهي ناحية في محافظة الكرك والطفيلة عام ١٩٥٩-١٩٦٠م. (القيسي، 2011، صفحة 191)

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

2-دراسته ومؤهلاته العلمية:

درس الدكتور القيسي(دبلوم سنتين د – بكالوريوس لغة عربية / جامعة دمشق ١٩٦٤م) ثم حصل على شهادة الماجستير في النقد الحديث / جامعة القاهرة ١٩٨٠م. في البحث من معهد الدراسات والبحوث العربية / القاهرة ١٩٧٦م) ثم حصل على الدكتوراه في اللغة العربية / تخصص نقد (عن الإعجاز اللغوي في القرآن ١٩٨٨م). (الجدع، 2000، صفحة 852/2) (القيسي، 2011، صفحة 191)

3-وفاته: ان الأستاذ الدكتور عودة الله منيع القيسي وافاه الأجل يوم الاثنين (21)رمضان 1442هـ، الموافق(2021/5/3م)، في مدينة عمان بالأردن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد الراحل بالرحمة والرضوان، وأن يسكنه فراديس الجنان، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان إنا لله وإنا إليه راجعون. (رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

المبحث الاول:

الرؤية البيانية للأعجاز على المستوى النحوي عند الدكتور القيسي

المستوى النحوي: أول المستويات اللغوية: "وهو المستوى الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية، مثل نظام جملة (ضرب موسى عيسى) التي تفيد عن طريق وضع الكلمات في نظام معين أن موسى هو ضارب عيسى وعيسى هو المضروب واختلاف الترتيب يؤثر في دلالة الجملة، وان التبس المعنى، كما هو الحال في المثال السابق، تراعي الترتيب المعهود في قواعد النحو: الفعل الفاعل ثم المفعول به تجنبا لأي التباس في المعنى ومن هنا يتضح أن هناك علاقة بين النحو والدلالة، فعلم النحويين دلالة المفردات في التركيب " (عكاشة، 2005، الصفحات 13-14)

ان من أجمل الأساليب وأحسنها ومن الأمور التي زادت من إبداع أسلوب القرآن هو دقته النحوية، حيث كان واضحًا فيها الاتقان والابداع الالهي ومضامين دلالات الألفاظ والمعاني، مما يجعل للنحو أثرا كبيرًا في فهم القرآن الكريم وإعجازه، ومن هنا يتضح البيان في إبراز الإعجاز القرآني من المنظور النحوي وإن الإعجاز البياني على المستوى النحوي في القرآن الكريم يظهر من مجموعة من الأساليب النحوية التي استعملت بنحو يتماشى مع الخطاب القرآني، وهذه الأساليب، التقديم والتأخير والحذف والمبني للمجهول وغيرها، التي تضفي على النص القرآني جمالاً خاصاً، وتؤكد عنصر الإعجاز فيه ويتجلى الإعجاز القرآني في هذا السياق من الظواهر الآتية.

1-التقديم والتأخير وتطبيقاته القرآنية:

يعد التقديم والتأخير من أبرز أساليب اللغة العربية التي حظيت بعناية النحاة والبلغاء قديما وحديثا، ولقد أشار إليه سيبويه (ت 180هـ) في كتابه (الكتاب) بأكثر من موضع من بينها : " والتقديم هنا والتأخير في ما يكون ظرفا أو يكون أسما في العناية والاهتمام، مثله في ما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول ، وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير" (سيبويه، 1988، صفحة 56/1) ، فمن ذلك قوله عز وجل: (وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ)(سورة الإخلاص / الآية : 4)

اما عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) قال: "القول في التقديم والتأخير هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان" (الجرجاني، 2004، صفحة 106)

وعرفه الزركشي(ت:1393هـ) قائلاً: "القول في التقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق وقد اختلف في عدة من المجاز فمنهم من عده منه لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه والصحيح أنه ليس منه فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع" (الزركشي، 2006، صفحة 233/3) اذن هو كما قيل في تعريفه:" وهو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية أو ضرورة " (البغدادي، 2002، صفحة 189)

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

تطبيقات قرآنية للمستوى النحوي في التوصل الى الاعجاز البياني عند الدكتور عودة الله القيسي :

اولاً: قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ) (سورة آل عمران،الاية،156-158) يرى الدكتور القيسي ففي الآية الاولى قدم الموت وفي الثانية قدم القتل وفي الثالثة قدم الموت ، بسبب: مجيء الآية الأولى وقد قدم الموت وأخر القتل لأن جملة (ضربوا في الأرض) سبقت جملة (أو كانوا غزى) والضرب في الأرض، هو السعي فيها ويتناسب مع الموت أما الغزو فيتناسب مع القتل لأن الغزو يؤدي الى قتل بعض الغزاة كما يؤدي إلى قتل بعض أعدائهم، وفي الاية الثانية قدم القتل لأنه الحقه بجملة (في سبيل الله) وسبيل الله عز وجل هو الجهاد، والجهاد لا يتناسب مع الموت بالقتل فناسب التقديم والتأخير كلا الموضعين، والرابط بين هذه الحالات الثلاث هي جملة (لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ)لأن الله تعالى ربط الموت والقتل بهذه الجملة ولا شك في أن الأموات أكثر من القتلى يوم القيامة، لأن الذين يموتون بغير قتل في الحياة الدنيا أكثر من الذين يقتلون ولهذا قدم الأكثر، وهذا هو الإعجاز الذي عجز عن مجاراته، فصحاء العرب، مع أن العرب هم أمة الفصاحة والبلاغة)(القيسي، 2011، الصفحات 93-94)

ويرى الدكتور فاضل السامرائي: ان التقديم والتأخير في هذا الموضع تقديم القتل على الموت وعكسه في الموضع نفسه: من روائع التقديم والتأخير في بيان القرآن الكريم المعجز ورود آيتين متتابعتين قدم اللفظ في الأولى وأخر اللفظ نفسه في الثانية، وهذه الآيات متعلقة بغزوة (أُحد) تشير إلى الشهداء الذين سقطوا فيها، حيث يُعد الموت في سبيل الله أسمى أنواع الموت وأعظمها أجراً عند الله، وقد تم تقديم القتل على الموت، وهذا يختلف عن المعنى في الآية الثانية التي تتحدث عن سنة الله المتعلقة بالموت لجميع الناس وبما أن الموت على الفراش هو الأكثر شيوعا، حيث يموت معظم الناس حتف انوفهم، فإن الموت هنا يُعد الأكثر بينها، الدليل على أن المقصود في الآية الثانية هو توضيح سنة الله للجميع هو عدم اقتران القتل بعبارة (في سبيل الله) كما هو الحال في الآية الأولى هناك فرق كبير بين قتل الشهيد وقتل الإنسان العادي، فالشهيد ينال رحمة الله ومغفرة لذنوبه، كما يؤمن المسلمون، وهذا ما أكدته الآية الأولى، وهذا مخصوص بالمسلمين وبما أن القتل بشكل عام (للمسلمين وغيرهم) يتضمن ظالمين ومظلومين، فيجب أن يكون هناك حكم عدل يفصل بينهم، يوم القيامة، يُنتصف للمظلوم حيث يُجمع الجميع بين يدي الله، سواء كانوا ظالمين أم مظلومين قد يكون القاتل هو المظلوم والمقتول هو الظالم، ولهذا جاء التعبير المعجز في الآية الثانية(لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ) الى حد كبير يتفق الدكتور فاضل السامرائي مع الدكتور القيسي في الاعجاز البياني للآيات الثلاث(الشحود، 2020، صفحة 332)

فشتان ما بين قتل الشهيد وقتل الانسان العادي فالشهيد ينال رحمة من الله ومغفرة لذنوبه كما هي عقيدة المسلمين واليوم ما يحصل لنا من قتل وتنكيل في الرجال والاطفال والنساء من قبل احفاد القردة والخنازير من اليهود ومن عاونهم بسبب تفرقنا وشتاتنا واستغل العدو هذا تحت قاعدة(فرق تَسُد) فكلما تقربنا وتآلفنا في ما بيننا وتقربنا من الدين قربنا الله وكلما ابتعدنا سلط الله علينا من لا يخاف ولا يرحم .

ثانياً: قال تعالى: (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ) (سورة الانعام: الآية ،151)وقال تعالى: (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ) (سورة الإسراء: الآية ، ٣١)، قال السمين الحلبي المشهور(بالنحوي) : ((وفي هذه الآية الكريمة نحن نرزقهم وإياكم فقدم المخاطبين وفي الإسراء قدم ضمير الأولاد عليهم، فقال :(نحن نرزقهم وإياكم) فقيل للتفنن في البلاغة ، وأحسن منه أن يقال : الظاهر من قوله: من إملاق حصول الإملاق للمولد لا توقعه وخشيته فبدأ أولاً بالعدة برزق الآباء ، بشارة لهم بزوال ما هم فيه من الإملاق وأما في آية الثانية فظاهرها أنهم موسرون وإنما يخشون حصول الفقر ، ولذلك قال:(خشية إملاق) وإنما تخشى الأمور المتوقعة ، فبدأ فيها بضمان رزقهم ، فلا معنى لقتلكم إياهم ، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد ، وإن كانوا متلبسين بالفقر ، والأخرى عن قتلهم إن كانوا موسرين ، ولكن يخافون وقوع الفقر، وإفادة معنى جديد أولى من ادعاء أن الآيتين بمعنى واحد للتأكيد))(الحلبي، 1994، صفحة 216/3)

بينا يرى الدكتور القيسي في بيان التقديم والتأخير في هذه الآيات: قال تعالى في الانعام:(نحن نرزقكم وإياهم) وفي الاسراء قال تعالى:(نحن نرزقهم وإياكم) في الأولى قدم تعالى ضمير الآباء وفي الثانية قدم ضمير الأبناء في الآية الأولى قدم تعالى ضمير الآباء لأنهم يتلهفون إلى أن يكون لديهم رزق يعيشون منه، ثم يعيش منه أبناؤهم، اي قدموا أنفسهم لحاجتهم إلى المآكل والمشرب على أبنائهم، لأن الإنسان يُشغل بحاجاته الضرورية أولا، ثم يشغل بعد بحاجات من ورائه سواء كانوا ابناء أو زوجة أو أقارب، اما في الآية

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

الثانية:(خشية إملاق) فقد قدم الله عز وجل ضمير الابناء، لأن الآباء ليسوا محتاجين ، وإنما هم يخافون الحاجة، وهؤلاء، قطعا لا يثقون بقدرة الله على رزقهم، ولذلك يريدون أن يتشبثوا بما في أيديهم فلا يستحقون أن يُقدموا على أبنائهم في إعطاء الرزق بل إن تقديم أبنائهم عليهم فيه تأكيد أن الرزق من الله، فقد يرزق الله الفقير وقد يذهب بما في يدي الغني، وقد يرزق الله الأبناء ويذهب بما في أيدي الآباء (القيسي، 2011، الصفحات 107-108) فكان التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية في هذه الآيات والنصوص القرآنية في توضيح الاعجاز البياني .

ثالثا: قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(سورة الفاتحة: الاية،5)جاءت للتخصيص: هو ان يخصص القرآن لفظاً معيناً ليدل على شيء محدد، فيتم تقديم المفعول به على الفعل ،او الخبر على المبتدأ ،وهذا من الامثلة على ذلك ،حيث تم تقديم المفعول به (اياك)على الفعل(نعبد) وكذلك تم تقديمه على الفعل (نستعين) والاصل في ذلك هو : نعبدك و نستعينك ، ذكر الخالدي نقلاً عن السامرائي، الذي اتفق معه في الرأي، أن سبب تقديم المفعول به (إياك) هو الاختصاص، حيث إن العبادة لا تكون إلا لله، والاستعانة لا تكون إلا بالله. (الخالدي، 2000، صفحة 262)

أما في قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) (سورة الفاتحة ،الآية ،6)، فقد جاء المفعول به في مكانه الطبيعي بعد الفعل والفاعل، لأن طلب الاختصاص في الهداية غير صحيح، فلا يمكن تخصيص الله بهداية شخص واحد فقط، بل يهدي الله من يشاء من عباده. (السامرائي، 2013، الصفحات 263-264)

اما رأي الدكتور عودة الله القيسي فيتفق مع الخالدي والسامرائي ويضيف على الاختصاص: ان الله تعالى هو الحق: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ) (سورة الحج: الاية،62)والحقّ كمال، والكمال لا نقص فيه، وجملة (نعبدك) ناقصة الدلالة فقدم المفعول به على الفعل ولا تعطي المعنى حقه في النص الذي ذُكرت فيه لأن جملة (نعبدك) تعني أننا يمكننا أن نعبد غيرك معك، وهذا لا يفي بالمقصود أما عبارة (إياك نعبد) فتعني قصر العبادة على المخاطب وهو الله وَحْدَهُ، وهذا هو المعنى المقصود قد يقال: لماذا قال تعالى وقوله الحق: إياك نعبد ولم يقل: نعبدك أو نقول غير هذه العبارة الثانية ان كلام الله عز وجل يتعالى على قولنا : (نعبدك) أو عبارة أخرى من النمط نفسه ، وهذا ان دل على شيء فهو يدل على الاعجاز الرباني للقرآن الكريم في بيانه للمعاني الدقيقة والألفاظ المختارة لها بعناية(القيسي، 2011، صفحة 129)

أن أسلوب التقديم والتأخير يعد جزءًا من النظام المعجز في القرآن الكريم، حيث يظهر في النصوص معاني دقيقة تتجلى بطريقة معينة و إن ظهور هذه الظاهرة في القرآن يزيد من إعجازه، مما جعل العرب يعجزون عن الإتيان بمثله.

2- الحذف وتطبيقاته القرآنية:

الحذف لغةً: جاء في الصحاح : " حذف الشيء إسقاطه ، يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت وحذفت رأسه بالسيف، إذا ضربته فقطعت منه قطعة " (الجوهري، 1987، صفحة 1341/4) وقال ابن منظور في الحذف: "حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه " (ابن منظور، 1994، صفحة 93/3) اذن الحذف في اللغةً يدل على القطع والاسقاط.

الحذف اصطلاحا: هو : " إسقاط كلمة للإجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام" (الرماني، 1968، صفحة 76)

وعرفه الجرجاني(ت:471هـ) في كتابه دلائل الإعجاز: "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فأنك ترى به ترك الذكر أفبح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وإنما ما يكون بيانا إذا لم تبين " (الجرجاني، 2004، صفحة 172)

أما الحذف عند النحويين فيعرف أنه: "إسقاط عنصر من عناصر الجملة بدليل. " (الزركشي ب.، 2006، صفحة 102)،من هنا يتضح أن الحذف لدى البلاغيين له هدف جمالي بلاغي كما أشار الجرجاني في تعريفه، بينما بالنسبة للنحويين، يقتصر الحذف على حذف عنصر من عناصر الجملة، أي أنه يُنظر إليه من الناحية التركيبية.

فالحذف من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، الذي يُعد من الأساليب القرآنية التي ساهمت بنحو كبير في تشكيل الصورة القرآنية فالأصل هو ذكر الكلمات، بينما الحذف يُعد خلاف الأصل، لذا يجب أن تكون هناك حكمة وبلاغة عند حدوث الحذف في الكلام، سنتناول بعض الامثلة القرآنية والجمال والبلاغة التي أوجدها هذا الأسلوب لمظاهر الاعجاز البياني فيها:

أولا: قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا) (سورة النساء: الآية :40)

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

يقول الفخر الرازي(ت606هـ) في بيان معنى الآية فِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى:" قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع على تقديره (كَانَ) التَّامَّةَ، والمعنى: وان حدثت حسنة، او وقعت حسنة، والباقون بِالنَّصب على تقدير (كَانَ) الناقصة والتقديرِ: وان تك زنة الذرة حسنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر (يُضَـٰعِفْهَا) بالتشديد من غير ألف من التضعيف والباقون يضاعفها بالألف والتخفيف من المضاعفة، المسألة الثانية: (تَكُ) اصله من كان يكون واصله تكون سقطت الضمة للجزم وسقطت الواو لسكونها وسكون النون فصار تكن ثم حذفوا النون ايضا لأنها ساكنة وهي تشبه حروف اللين وحروف اللين اذا وقعت طرفا سقطت للجزم كقولك: لم ادرِ، اي لا ادري وجاء القران بالحذف والاثبات اما الحذف فههنا اما الاثبات فقوله تعالى: (إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا) " (سورة النِّسَاءِ: الاية:135) (الزركشي ب.، 2006) (الرازي، 2000، صفحة 82/10)

ويرى الدكتور القيسي في هذه الآية يكون الحذف لسببين :

اولهما: وهو أن النون تحذف من الفعل (يكون) المجزوم، بأداة من أدوات الجزم عندما يكثر الكلام الذي تتعلق به، سواء أكان متقدماً عليها أم متأخراً عنها مثال ذلك ما ورد في سورة (مريم) فقد سبق كلمة (أك)أكثر من خمس وعشرين كلمة يتصل سياقها بها، من قوله تعالى :(فأرسلنا إليها روحنا) ومثاله مما كثر سياقه بعدها وكان يتصل بها قوله تعالى: (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ)(سورة هود: الآية، 109)فاسم الإشارة يشير إلى قوم سبق الحديث عنهم، ولكن وقع فاصل طويل بينهم وبين(تك) وهو آية كاملة، هي قوله تعالى : (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (سورة هود: الآية ،108)، فكان اتصال (تَكُ)بما يليها أقوى من اتصالها بما سبقها، هذا السبب يعود الى صورة السياق.

أما السبب الثاني: فيعود الى المعنى، وهو أن الآيات التي ورد فيها (أك) ومثيلاتها جاء التركيز فيها على ما يلي (أل) أو كان المقام يستدعي الإيجاز والإسراع في الفروغ من المعاني أما الآيات التي ورد فيها(أكُن) ومثيلاتها فقد كان التركيز موزعا بينها وبين ما يليها توزيعا متساويا قوله تعالى: (وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) ( ) فالتركيز هنا على فعل الحسنة، وليس على (تَكُ) لأن الحذف قد يشير الى عدم اهمية المحذوف منه، فكأن الحذف يوحي بأن القارئ أو السامع يريد أن يتجاوز موطن الحذف سريعا إلى غيره، بمعنى إلى ما هو أهم منه التكون، فالتكون هنا مهم أهمية الدعوة إلى الخير، لأن هذه الدعوة لن تتم إلا إذا حصل هذا ويتضح إن حذف النون من هذه الأفعال يعود إلى السببين معا لا إلى أحدهما، فهما سببان متظاهران(القيسي، 1996، الصفحات 110-111)

ثانياً: قال تعالى: (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)(سورة العلق :الآية ،1): يرى الزمخشري في كتابه (الكشاف) ان لفظة (خلق) هو فعل متعدٍ، وله عدة أوجه في مفعوله: الأول هو تقدير المفعول به المحذوف بحيث يُراد به خلق كل شيء، مما يشمل جميع المخلوقات، لأنه عام ولا يُفضل بعض المخلوقات على الأخرى في هذا التقدير، والغرض من حذف المفعول هو التعميم مع الاختصار، ومن ذلك قوله تعالى: (الرحمن علم القرآن) أي علم الناس جميعًا، الثاني هو عدم تقدير المفعول، حيث يُعد الفعل المتعدي كالفعل اللازم، فيكون معنى (الذي خلق) أي الذي حصل منه الخلق، الثالث هو تقدير المفعول بـ(الإنسان)، أي هو الذي خلق الإنسان(الزمخشري، 1991، الصفحات 4/775-776)

كما جاء في قوله تعالى: (ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ) (سورة الرحمن الآية،1-3)

والجرجاني(ت471هـ) يتفق مع الزمخشري في هذه الوجوه الا انه يضيف ويقول قيل:(أقرأ) بحذف الألف، كما تقول: اسْعَ، والظاهر تعلق الباء ب(أقرأ) وتكون للاستعانة، ومفعول اقرأ محذوف، أي اقرأ ما يوحى إليك (الجرجاني، 2004، صفحة 146)، فأدى ذلك إلى تمكين المعنى في الذهن مع الإحساس بعذوبة اللفظ وسلاسته.

ويوضح مصطفى عبد السلام الحذف في هذه الآية :" حذف المفعول به في قوله تعالى : (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) (سورة العلق: الآية ،1) فحذف مفعول خلق الله ليتناول كل مخلوق ما تعلم وما لا نعلم والتقدير : خلق كل شيء إذ ليس بعض المخلوقات أولى من بعض" (عبد السلام ، 1991، صفحة 64)

ان الدكتور عودة الله القيسي يتفق مع من سبقه في بيانهم لوجوه الحذف في قوله تعالى: (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)(سورة العلق: الآية ،1) ويضيف في وجه الاعجاز فيقول: ثم إن هذه القراءة ليست قراءة مفتوحة على كل الاتجاهات، وإنما هي قراءة إيمانية، قراءة باسم ربك ومن المعروف أن رسولنا ﷺ قد فهم من كلمة (اقرأ) هذا المعنى السابق للقراءة وحدَهُ عندما أمره جبريل علي ثلاث مرات بالقراءة، وفي كل مرة يقول : ما أنا بقارئ، ولكن عندما قال له جبريل في المرة الرابعة : (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) لم يعد يقول له

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

: ما أنا بقارئ، لأن وجدانه الشريف أحسن أن القراءة المطلوبة منه ليست قراءة (الحروف) التي تتكون منها كلمات، وإنما هي قراءة كلام الله الذي يبدأ بـ(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) (سورة العلق: الآية ،1)، وان القراءة باسم الله تعني الاعتراف بوجود الله وبالوحدانية وقدرته التي لا تُحَدُّ : (ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ) (سورة الزمر :الآية، 62)، وتعني الاعتراف بالعقيدة كما وردت في القرآن : (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ)(سورة البقرة : الآية، 285)ثم الاعتراف بالعبادية لله: (مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ) (سورة الذاريات: الآية،57-58) وأخيرا الاعتراف بشرع الله : ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ (سورة المائدة :الآية ،48) (القيسي، 2001، الصفحات 6-7)

وقد أدرك العرب إعجاز القرآن منذ أن نزلت أول خمس آيات من سورة (العلق)، لقد أحسوا أن هذه الآيات الخمس مخالفة تمام المخالفة لما ألفوا من منظوم و منثور كالخطب وسجع الكهان وإن شعراءهم الكبار يبدؤون قصائدهم بالغزل وبالأطلال، فأكبر شعرائهم امرؤ القيس(*) بدأ معلقته الشهيرة بقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (امْرُؤُ القَيْس ، 2004، صفحة 8/1)

إذ دعا صاحبيه أن يقفا عن السير عندما وصل ديار حبيبته الدائرة، لكي يبكوا هذه الديار التي موضعها (سقط اللوى)، وهذا المكان يقع بين مكانين آخرين هما: الدخول وحومل، فأين هذا من قوله تعالى: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) (سورة العلق: الآية ،1) لقد افتتح كلامه بالأمر بالقراءة، والحياة لم تتقدم تقدماً مهولا إلا من خلال قراءة ما يكتب يأخذه الخلف عن السلف ثم يضيف إليه، ثم يأتي الجيل الثالث فيقرأ ما كتبه الجيلان السابقان ثم يضيف إليه معارفه، وهكذا جيلاً بعد جيل حتى وصلت المعرفة إلى هذا المستوى المتقدم في هذا العصر (القيسي، 2001، الصفحات 6-7)

ويتضح في كلمة (اقرأ) دلالة عميقة على أن القراءة تأتي في المقدمة قبل أي شيء آخر فلم يذكر الله في أول كلمة خالدة (صلِّ) أو (زكِ) أو (صم)، مما يدل على أن (اقرأ) هي الأكثر تفضيلاً وذلك لأن من يقرأ القراءة الصحيحة يفهم الفهم الصحيح، ومن ثم يؤدي العبادات وسائر الأعمال بالنحو الصحيح. إذا كان معروفًا أن الحذف في المستويين النحوي والبلاغي يتعلق بكل ما يُنوى، فنحن بوصفنا بشرا يمكن أن تتقارب أفكارنا ومشاعرنا، مما يمكّننا من الوصول إلى المحذوف في كلام الآخرين بسهولة لكن عندما يتعلق الأمر بكلام الله(عز وجل) فلا سبيل لذلك إلا بتوفيقه سبحانه ومن هنا يمكننا تفسير اختلاف العلماء في تقدير المحذوف. لذلك، يمكنني القول إن باب الحذف في القرآن الكريم سيظل مفتوحًا ومليئًا بالجديد لكل باحث في أي زمن، وذلك بقدر توفيق الله له أنت تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، و أنت علام الغيوب.

3- المبني لما لم يسم فاعله وتطبيقاته القرآنية :

وهو الأسلوب الذي فيه حذف الفاعل، مما يؤدي إلى تحويل الفعل إلى صيغة مختلفة عن تلك التي كان عليها عندما كان الفاعل معروفًا يتم حذف الفاعل إذا كان غير معروف، أو تعظيمًا له، أو خوفًا منه أو عليه. وقد أطلق ابن السراج على الفعل المبني للمجهول اسم "ما لم يُسم فاعله" (ابن السراج، 2001، صفحة 72/1)

بينما استعمل ابن جني مصطلح (بناء الفعل للمفعول)، وسمي نائب الفاعل "مفعول أقيم مقام الفاعل" (ابن جني، 1999، صفحة 135). أما الكرماني، فقد استعمل مصطلح "المبني للمجهول" (الكرماني، 1998، صفحة 100)

وترى الدكتورة(بنت الشاطئ): في المبني للمجهول فأنت تقرأ في علم الصرف كيفية تشكيل الفعل للمجهول وصيغ المطاوعة، وفي علم النحو تتعرف على أحكام نائب الفاعل أما سبب حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول، فهذا موضوع آخر يُدرس في علم المعاني، الذي انفصل عن الإعراب ليصبح الإعراب مجرد صنعة، رغم أنه في الأصل مرتبط بالمعنى، كما أنك تتناول في علم البيان إسناد الفعل إلى غير فاعله بنحو مجازي لكن، لم يحاول أحد من الدارسين، حسب علمي، جمع هذه الظواهر المتفرقة في أسلوب واحد

(*) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الأكبر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كندة بن ثور بن مرتع بن عفير بن الحارث بن مرة بن زيد بن كهلان ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، شاعر في زمن الجاهلية وصدر الاسلام – قال الأصمعي : وكان يقال لأمرؤ القيس الملك الضليل، ومات بأنقرة من بلاد الروم، ينظر: (امْرُؤُ القَيْس ، 2004، صفحة 7/1)

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

لفهم سرها، الذي يجعل العربية تستغني عن الفاعل وتربطه بغير فاعله، سواء من خلال البناء لما لم يسم فاعله أو المطاوعة أو الإسناد المجازي، وقد لفت انتباهي تكرار ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في البيان القرآني، وهو ما يُعرف بالبناء لما لم يسم فاعله ، الذي يظهر بكثرة في آيات القرآن(عبد الرحمن، 2003، صفحة 240)

تطبيقات قرآنية للمستوى النحوي في المبني للمجهول للتوصل الى الاعجاز البياني عند الدكتور القيسي

اولاً: لفظ _(طبع الله) _(طُبِعَ): ذُكر الفعل الماضي (طَبع) مسندا الى لفظ الجلالة الله اربع مرات، كقوله تعالى: (بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا) (سورة النساء:الاية،155). وذُكر الفعل الماضي المبني لما لم يسم فاعله (طُبع) مرتين مثل قوله تعالى: (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ) (سورة التوبة: الاية،87) . فماذا اختلفت الصيغ من موضع لآخر وما هو وجه الاعجاز فيها؟ نظر الزركشي إلى بناء الفعل (طبع) لما لم يسم فاعله في سياقه بما يتناسب مع ما قبله، كما في قوله تعالى: (وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ) (سورة التوبة: الآية،86)،فقد جاء بداية الآية بصيغة البناء للمفعول (أُنزِلَتۡ سُورَةٌ)، مما جعل الختام متناسقًا مع البدء، وجاء الفعل (طبع) أيضًا مبنيًا لما لم يسم فاعله وهذا يختلف عن ما جاء بعده من قوله تعالى: (وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ) (سورة التوبة: الآية،87)، حين لم يكن هناك ما يدعوا للبناء، فجاءت على الأصل ومع أن هذا الغرض واضح، إلا أنه يجب النظر إليه من زاوية أخرى، حيث استُعمل هذا الفعل في بيان الذم وذم الكافرين فقط، ولم يُستعمل مبنيًا لما لم يسم فاعله إلا في موضعين فقط، واشير إلى ذلك في موضعه من قبل. (الزركشي، 2006، صفحة 145/3)

ويرى فاضل السامرائي: إن إسناد الطبع إلى الله أشد تمكنا في القلب من بنائه لما لم يسم فاعله ، فما أسند إليه صراحة يكون أثبت وأقوى مما لم يسند إليه، وعلى هذا فهو يسند الطبع إلى الله في مواطن المبالغة والتأكيد ويبنيه للمجهول فيها هو أقل من ذلك، وذلك واضح في الآيتين المذكورتين وهما قوله: (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ) (سورة التوبة: الآية ،87)وقوله: (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ) (سورة التوبة: الآية،93)، وبالنظر في السياقين يتضح لنا ذلك، فأن الآخرين أشد ضلالاً وكفرا من الأولين يشير الى ذلك ما ذكره من صفاتهم وأحوالهم، فإنه لم يذكر في الأولين غير انهم يستأذنون الرسول إذا أنزلت سورة تأمر بالإيمان والجهاد وأنهم يقولون: ذرنا نكن من القاعدين وعقب على ذلك بقوله: رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، في حين ذكر من صفات الآخرين ما يدل على شدة كفرهم وضلالهم وغضب الله عليهم ما لم يذكره في الأولين، فناسب ذلك إسناد الطبع إلى الله للدلالة على شدة تمكن الكفر في نفوسهم وقلوبهم بخلاف الآية الأخرى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه مما حسن بناء الفعل لما لم يسم فاعله أيضاً في الآية الأولى ما قاله فيها: وإذا نزلت سورة ببناء (أنزل) لما لم يسم فاعله ، فكما أنه لم يسند الإنزال إلى الله تعالى لم يسند الطبع إليه، فكان بناء الفعل لما لم يسم فاعله في الآية الأولى أنسب وبناؤه للمعلوم في الآية الثانية أنسب، والله أعلم(السامرائي، 2013، الصفحات 78-79)

واما الدكتور القيسي في بيانه للنصوص القرآنية يرى انه: ذُكرت لفظة (طبع) مسندة إلى لفظ (الله) في سورة النساء لسببين : اولهما المقابلة في قوله في بدء الآية: (وكُفرهم بآيات الله) فكان جوابها : (بل طبع الله) على قلوبهم، الثاني: أن الله، تعالى أسند الأفعال الراجعة لمشيئته إلى ضمير المتكلم (تاء) ست مرات قبل هذا الفعل (طبع) فكان لزوم حضور لفظ (الجلالة) في ذهن القارئ، والتأكيد أن الضمير في الأفعال السنة السابقة يعود له يستدعيان إيراد لفظ الجلالة الله صريحاً، لأن طول السياق وكثرة الأفعال غير المسندة إلى الاسم الظاهر قد تضعف في الذهن صورة هذا الاسم او تظلل عن الاهتداء إلى أنه هو الفاعل في تلك الأفعال فقال: (بل طبع، الله ،عليها بكفرهم) وفي سورة التوبة جاءت (طبع (الله) مناظرة لقوله تعالى : (كَذَّبوا الله ورسوله) ومناقضة لقوله: (نصحوا لله ورسوله) ثم لأن لفظ الجلالة لم يرد قبل (طبع) مع صيغة أخرى بهذا العدد أي : مع الأغنياء الذين يستأذنون الرسول الكريم لئلا يذهبوا الى القتال كان طبيعياً أن يرد بعدها، ليعرف الفاعل أما (طُبع) فقد ذكرت في سورة (التوبة) انسجاما مع قوله في الآية السابقة عليها(أُنزل) هذه فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله ، وتلك فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله كذلك يضاف الى ذلك أن الفاعل معروف، لأنه سبق وروده في الآيات الثلاث السابقة فلا خفاء في أن الفعل المبني لما لم يسم فاعله (طبع) مسند في المعنى، الى لفظ (الله) عز وجل(القيسي، 1996، الصفحات 94-95)

ثانياً: لفظ _(أوحى) _(أُوحي): قال تعالى (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ) (سورة هود: الآية،36) يرى الدكتور فاضل السامرائي بعد أن أغلق الله الحوار بين نوح وقومه وتحدوه بأن يأتي بما يعدهم إن كان

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

صادقا في ما ادعا به أُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن بك وهم القلة القليلة ،فلن يؤمن احد برسالتك، وقد قال ههنا : (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ) ببناء الفعل لما لم يسم فاعله: (أوحي)، وقال في سورة المؤمنون: (فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ) (سورة المؤمنون : الآية،27) بالبناء للمعلوم وبيان ذلك لأكثر من وجه : الوجه الاول: أن نوحاً طلب من ربه في سورة المؤمنون ينصره: (قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) (سورة المؤمنون: الآية، 26)فاستجاب له : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ أَصْنَعِ الْفُلْكَ) فالذي طلب منه النصر استجاب له فجاء بالفاعل (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ)ولم يقل : (فأُوحي) بحذف فاعل والثاني: أنه بعد مجيئ فعل أمر متصل بالإيحاء لم يقل: (أوحي) بالبناء لما لم يسم فاعله ، وإنما يذكر الفاعل مثل: (أوحينا) أو(أوحيت) أو (أوحى ربك) ، قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ) (سورة الاعراف: الآية، 117) وقال: (ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا) (سورة النحل :الآية ،123) وقال : (إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ) (سورة المائدة : الآية ،111)وقال: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ)(سورة النحل : الآية ،68)وعندما جاء الامر بعد الإيحاء في آية المؤمنون وهو قوله : أن أصنع الفلك فناسب ذلك قوله : (وَأَوْحَيْنَا)من هذا الوجه (السامرائي، 2002، الصفحات 145-143/3)

بينما يرى الدكتور القيسي التحول في هذه الآيات في مستواها النحوي فيقول: جاءت (أوحي) مبنية لما لم يسم فاعله أو مبني على الضم في محل نصب مفعول به، مع أن الفاعل هو الله تعالى يدل على ذلك بعد هذه الآية قوله تعالى: (ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا)(سورة هود: الآية، 37)فقد انتقل الكلام من الغيبة والبناء لما لم يسم فاعله إلى خطاب نوح عليه السلام ومعرفة المتكلم وهو الله تعالى، وذلك في قوله (بأعيننا) فالضمير (نا) يعود على الله تعالى جاءت (أوحي) مبنية لما لم يسم فاعله لان الله تعالى قد اعلن عن ذاته العلية في بدء هذا القصص، فقال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ) (سورة هود : الآية ،25)، فالضمير (نا) في الفعل الماضي (أرسلنا) يعود على الله تعالى. وقوله تعالى السابق: لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن لا يستطيع الجزم به إلا الله، عالم الغيب والشهادة، وهذا جزم بعلم الغيب وإنه لواضح من قوله تعالى: (من قومك)أن نوحاً أرسل لقومه وحدَهُمْ كمعظم الأنبياء، ولكن قليلاً منهم ارسلوا إلى اقوام محددين غير أقوامهم: فيونس(عليه السلام) أرسل إلى مئة الف أو يزيدون، بعد أن لفظه الحوت على الشاطئ ولوط (عليه السلام)أرسل إلى قومه في غور الأردن أما الرسول الذي ارسل للناس كافة، فهو رسولنا محمد صلى الله عليه واله وسلم : (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (سورة سبأ : الآية،28) (القيسي، 2011، الصفحات 163-164)

المبحث الثاني

الرؤية البيانية للأعجاز على مستوى الآيات المتباعدة عند الدكتور القيسي

ان الاعجاز البياني على مستوى الآيات المتباعدة يظهر في الآيات التي تحوي موضوعا واحدا او قصة واحدة في آيات متفرقة بين السور او السورة الواحدة وهذا ما نسميه بالمتباعد فهي ليست متجاورة وفي بحثنا هذا يمكن ان نطلق عليه بمظاهر التشابه والاختلاف في النصوص القرآنية عند الدكتور عودة الله القيسي فقد تتغير في الآية كلمة من سورة إلى سورة او من قصة الى قصة كما في قصص موسى في سور متعددة في القرآن الكريم والحقيقة أنه لا يوجد اختلاف في القصة وإنما يختلف التعبير عن مشهد من مشاهد القصة بين سورة وسورة لأن كل سورة تأتي بجزئيات من القصة نفسها تتناسب مع سياق الآيات في السورة التي تذكر فيها، ولا تختلف في الفحوى والحقيقة، وإذا تأملت هذا التشابه والاختلاف وجدته أمرا مقصودا في كل جزئية من جزئياته قائما على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز وكلما تأملت في ذلك أزددت عجباً وانكشف لك سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم(السامرائي، 2002، صفحة 160) ، **ولعل من أبرز الأمثلة على هذا التشابه والاختلاف :**

اولاً : قال تعالى في سورة ال عمران : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ) (سورة ال عمران: الآية، 38)، وقال تعالى على لسان زكريا في سورة مريم : (وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا) (سورة مريم: الآية، 5) في السورة الأولى قال : (ذرية طيبة)، وفي الثانية قال: (من لدنك وليا) فجمع وأفرد في آيتين مختلفتين، وأن لفظ الذرية اسم جمع مثل قوم وأمة وقبيلة، فما الداعي للجمع والافراد، يرى الدكتور القيسي ان الداعي: أن زكريا عليه السلام قد جمع في الآية الأولى نظراً لأجابة مريم عندما سألها : (قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (سورة مريم: الآية، 37.) وبذلك سأل ربه ذرية طيبة فالله هو الرزاق ذو القوة المتين الذي يرزق مريم(الطعام) من دون اسباب قادراً على ان يهبه الذرية الصالحة وليس ولدا واحدا، كما أنه لم يكن قد كبر في العمر، وإلا لم يكن الله ليكفله مريم، وانه

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

في سورة (مريم) كان قد شاخ وكبر في السن، ولهذا لم يسأل الله الذرية وانما سأله ولدا واحدا، وبدأ ذلك بمقدمات، تمهد لسؤاله قال تعالى : (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا) (سورة مريم: الآية، 2–4) وبهذا يكون قد اقر بما عليه من كبر السن ومن العجز، فحلته لا تسمح بأن يطلب ذرية وهو بهذه الحالة بل الحكمة ان لا يطلب ذرية وانما ولدا واحدا الا يطلب إلا ولداً يرثه وبخاصة أن امرأته كانت عاقرا، ولهذا اكتفى بالقول:(فهب لي من لدنك ولياً) (القيسي، 2011، صفحة 110)

وقد ينشأ سؤال لماذا قال الذرية وليس أولادا او أولياء، ويوضحه الدكتور القيسي: انه قال ذرية لأنه تأمل قول زوجة عمران عن وليدتها مريم: (وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ) (سورة ال عمران: الآية، 36)، لان هذه الآية سبقت قوله ولم يفصل بينهما إلا آية واحدة وفضلا عن ذلك أن الذي يخطر في عقله ليست (عملية الولادة) ليأتي بلفظ (الأولاد)، وإنما كان تصوره للنسل فقط، أي: الذرية فتناسبت (ذرية) مع (وذريتها)، ولكن لماذا قالت امرأة عمران:(وذريتها) ولم تقل: واولادها، يرى الدكتور القيسي : وذلك لان الذي كان يتخاطر لها ليس (عملية الولادة) وإنما كان النسل، من غير ان تتصور (عملية الولادة) من طفلة في المهد الى سيدة نساء العالمين هي مريم عليها السلام قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ)(سورة مريم: الآية، 42)،ثم قال زكريا في سورة (مريم) قال: (ولياً)، فلماذا ، يرى الدكتور القيسي: أنما هو السياق يقتضي (وليا) فقد جاء قوله تعالى قبله : (وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا)(سورة مريم: الآية، 5)فلفظ (الموالي) اقتضت معها(وليا)، لأنه كان يخاف الذين يعقبونه ويرثونه من غير نسله، فيريد أن وريثه ومن يعقبه من آل يعقوب من صلبه فغيرهم ليسوا مؤتمنين على وراثة الدين والعدل والاستقامة(القيسي، 2011، الصفحات 110–111) ، وقال : (وليا) دون (مولى) وهو مفرد (الموالي) الداعي لذلك ان زكريا أراد أن يفرّق حتى في اللفظ بين الذي من نسله والذي من غيره ولن يكون التفريق إلا إن يمايز في اللفظ بين من سيكون وريثه ومن لا يريد ، مثل جمع عين الإنسان ب(عيون) ومنها (عين الماء) للمشابه بين العينين، ولكن العين بمعنى الرجل رفيع المستوى تجمع على (أعيان) لكي نفرق في الجمع بين عين الماء والإنسان وبين العين، العضو في جسم الانسان لان الإنسان الرفيع المستوى والعين بينهما تشابه معنوي، وبين الإنسان وعين الماء تشابه مادي(القيسي، 2011، الصفحات 111–112)

ثم لسائل أن يسأل هل ان الدعاءين كانا في موقف واحد أم موقفين؟ يقول الدكتور القيسي:((انهما قيلا في موقفين اولهما: وجدان منفعل انفعال شكر بما كانت عليه مريم من أفضال الله عليها بالرزق يدل على ذلك قوله بعد أن شاهد مراراً ما يصل إلى مريم من رزق الله: هناك دعا زكريا ربّه فهنالك تعني أنه دعا ربه وهو في ذلك المكان الذي كانت فيه مريم لأن هنالك ظرف مكان وقد تعني هنا ظرف المكان، وظرف الزمان معا، أما الثاني: فقوله في مكان آخر، وهو يتأمل ما هو عليه من ضعف وما عند الله تعالى من القدرة التي تحيل الضعف قوة فتجعل رجلا عجوزا مثل زكريا ينجب من زوجته من يرثه ويرث من آل يعقوب دعاءان متشابهان في حالتين نفسيتين مختلفتين متشابهتين ومرحلتين من العمر ولهذا فلا يجوز أن يوضع أحدهما موضع الآخر البتة، وهذا عنصر مهم في الإعجاز اللغوي لأن الكلام الذي تستطيع أن تنقل العبارات المتشابهة فيه، بعضها مكان بعض، إنما هو كلام غير معجز، بل لعله ليس في كلام البشر عالي الطبقة إلا قليلا، لأن الكلام الجيد هو الذي تأتي فيه العبارة في سياقها ملتحمة به، بحيث لا تفي بمعناها عبارة أخرى مشابهة، وإنما تبدو العبارة الأخرى وفيها شيء من التنافر مع سياق العبارة الأولى وقد لا يتبدى لك الفرق عند النظرة الأولى، ولكنه يتبدى بعد طول التأمل والتدبر أما حثنا الله تعالى على تدبر القرآن، إذ بالتدبر يتبين الإعجاز قال تعالى : (فَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا) (سورة النساء: الآية، 82)وقال تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ) (سورة محمد: الآية، 24))) (القيسي، 2011، الصفحات 112–113)

ثانياً: الإعجاز اللغوي في الاختلاف بين تعابير القرآن المتشابهة في أقوال زكريا عليه السلام قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام في سورة آل عمران: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ) (سورة ال عمران: الآية، 40). وقال تعالى على لسان زكريا مرة أخرى في سورة مريم: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا) (سورة مريم: الآية، 8) في الآية الاولى قدم زكريا بالضمير على امرأته، وفي الآية الثانية قدم امرأة زكريا ، فما الداعي لذلك؟ يرى الدكتور القيسي: ان ذلك يأتي من جانبين اولهما: مجيء الدعاءين في اماكن واوقات مختلفة فالدعاء في الآية الأولى كان زكريا يحس بالعجز والضعف والوهن واحس بقرب اجله فطلب من ربه (وليا) يرثه ويرث من آل يعقوب، أما الدعاء في الآية الثانية فقد كان قائما في

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

المحراب يصلي فتحمس لدعاء ربه أن يرزقه(وليا) كما يؤتي مريم وما يأتيها من رزق، وثمر في غير أوقات قطفه من بساتين الأرض، لأن رزقها من الله تعالى قال: (قَالَ يٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ) (سورة مريم: الآية، 37-40)ولو افترضنا أن الدعاءين لم يكونا في اماكن وازمنه مختلفة، لما كان بينهما اختلاف وتشابه، ولكان دعاء واحدا في سياقين مختلفين(القيسي، 2011، الصفحات 116-117). وان ورود دعاءين من الفرد مختلفين متشابهين في لأجل شيء واحد في اماكن وازمنه مختلفة ام طبيعي الحصول وهو يقع كثيراً مثلاً، تريد أن تتقدم لمناقشة رسالتك للماجستير فأنت تدعو ، سائلاً الله أن يسهل الأمر مع المشرف وبعد ان اختاروا لك المشرف تسأل الله أن يهدي المشرف ليعينك على اكمال بحثك وليس كالدعاء الاول وأن يهدي المناقشين للتساهل، وأن يسهل عليك بقبول الرسالة والحصول على تقدير كنت تتمناه، وهذه الحالة مثيلة في حالة التحمس التي حدثت لزكريا الذي أثاره ما يأتي مريم من رزق دعا بدعاء، وفي حالة العجز والوهن والضعف: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا) (سورة مريم: الآية، 4) دعا بدعاء مختلف مشابه، فكان هنالك دعاءان وبينهما تشابه واختلاف كما جاء في الآيتين اللتين ذكرناهما في البداية(القيسي، 2011، صفحة 117)

أما من الجانب الثاني فسببه بحسب الدكتور القيسي: أن لفظ المرأة لم يذكر، في السياق المختصر في آل عمران، ولهذا قدم زكريا نفسه على امرأته كما هو اسلوب القران المنتظم او ما يسمى(التغليب اللغوي والعلمي) الذي يُقدم فيه الرجل على المرأة، بل يؤتي فيه بالمذكر وحده أحيانا ويقصد به المذكر والمؤنث معا كالمسلمون على المسلمات والمؤمنون على المؤمنات، وهذه الآية جرت مجرى (الأصل) أما في سورة مريم فقد قدم ذكر امرأته على ذكر نفسه (وكانت امرائي عاقرا وقد بلغني الكبر) يرى الدكتور القيسي ان ذلك حاصل لسببين: اولهما: انه سبق وان ذكر امرأته في السياق، قال تعالى: (وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَالِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا) (سورة مريم: الآية، 5) ، فقدمها على ذكر نفسه ، والثاني: انه قدمها بسبب مرضها العقر صراحة وهو الأهم، في المرة الأولى، في حين ذكر بلوغه الكبر، في المرة الأولى بغير مباشرة فقال : (وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا)(سورة مريم: الآية، 4)ولم يذكره صراحة إلا في المرة الثانية : (وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ الۡكِبَرِ عِتِيّٗا)، لهذا حسُن ان يورد في المرة الثانية، المذكور في المرة الأولى، صراحة، قبل الذي لم يذكر صراحة إلا في المرة الثانية مما دفع زكريا بسليقته وفطرته أن يقدم العبارة المتماثلة في الحالتين على العبارتين غير المتماثلتين في كلتا الحالتين (القيسي، 2011، الصفحات 117-118)

اما قوله في ال عمران(بلغني الكبر) وقال في سورة مريم وقد بلغت من الكبر عتيا، حيث كان الفاعل في الآية الأولى هو الكبر وفي الثانية كانت تاء المتكلم التي تعود على زكريا، يرى الدكتور القيسي: ان الداعي لورود ذلك أنه في دعائه في آل عمران لم يكن في حالة (حزن) بل كان في حالة (حماسة) فلم يقر بعجزه، وإنما أعاد كبر سنّه بفعل الكبر، فالكبر هو المسؤول عن ضعفه، وعدم قدرته على الإنجاب، أما هو فالأصل فهو رجل نجيب أما في دعائه في سورة مريم كانت حالته توصف بالعجز والنوح قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا) (سورة مريم: الآية، 4)، وفي هذه الحالة يقتضي أن يقول الشخص حقائقه ولا يتجبجب ، ولا يخفي نقائصه المتمثلة في شخص زكريا، في تلك الحين الوهن والضعف وهشاشة العظام، فالحق أن اللوم على زكريا وليس الكبر الذي عاش هذه الفترة التي أدت إلى الكبر بحلوها ومرها فليس الكبر ادى به إلى العجز والضعف في الحقيقة، لأن الكبر ما هو الا مرحلة من مراحل العمر التي قضاها ولهذا قال في حالة عدم البوح وقد بلغني الكبر فاسند ضعفه إلى الكبر، أما في حالة البوح فقد قال: وقد بلغت من الكبر عتيا فاسند ضعفه إلى حقائق شخصه لزكريا عليه السلام (القيسي، 2011، صفحة 119)

ثالثا: لقد سال زكريا ربه تعالى: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ) (سورة ال عمران: الآية، 40)، و قال: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا) (سورة ال عمران: الآية، 8)، وسألت مريم كذلك: (قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا)(سورة ال عمران: الآية، 20)وسألت امرأة ابراهيم عليه السلام: قال تعالى : (وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ) (سورة هود: الآية، 71-72)، فهل هذا السؤال سؤالا استنكاريا أم تعجبيا أم للتأكد والاطمئنان؟ في كلتا الحالتين لسؤال زكريا عليه السلام، بعد أن بُشر بأنه وامراته سينجبان غلاماً وهو يحيى، يقول الدكتور القيسي: ((الصحيح عندي أنه سؤال للتأكد والاطمئنان؛ فما كان يمكن لزكريا وقد سأل ربه الولد أن يستنكر أو يتعجب من أمره الله : (إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (سورة ال عمران: الآية، 47)وإنما

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

هو نتيجة (اللهفة) على الولد، وأنه يريد أن يتأكد ويطمئن أما ترى أنك إذا كان لك قريب في بلاد أجنبية فقال لك أحد الاصدقاء: لقد شاهدت قريبك سليما في مطار فإنك ستقول لشدة لهفتك للتأكد معقول أن يأتي سليم دون أن يخبرنا ماذا قال لك؟ وماذا يلبس ؟ فأنت هنا لست منكراً، وإنما تصبو إلى أن تتأكد وتطمئن. وهكذا زكريا لم ينكر الخبر وإنما أراد أن تطمئن أعماقه لهذا الخبر، لأنه شيخ كبير قد ومن العظم منه، واشتعل راسه شيبا، وامراته عاقر ومثل هذين الزوجين لا ينجبان في العادة، فالإنجاب إعجاز جرت به مشيئة الله تعالى وقدرته)) (القيسي، 2011، صفحة 120)

اما في سؤال مريم في سورة آل عمران: (قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ) (سورة ال عمران: الآية، 47) وسؤالها في سورة مريم: (قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا) (سورة مريم: الآية، 20) فهي لم ترد الانكار ولا التأكد والاطمئنان وإنما أرادت معرفة الكيفية التي يحصل بها الحمل فالسؤال يشير الى حيرتها فهي راضية بقضاء الله ولكنها لم تعرف الكيفية، قال تعالى: (كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (سورة مريم: الآية، 47) اما سؤال امرأة إبراهيم عليه السلام قال تعالى : (وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ) (سورة هود : الآية، 71–72) فهي لم تسأل عن الكيفية في طبيعتها كما سألت عنها مريم، لأن الكيفية معلومة لديها، ولكنها تتعجب من ولادة العجوز فهو امر غير مألوف في العادة، فهذه ثلاثة أسئلة: فزكريا سأل ربه ليتثبت ويطمئن، ولا يستبعد أن زكريا سأل ليتلذذ بالجواب الذي يملأه سروراً، إضافة إلى التثبت والاطمئنان، ومريم سألت لمعرفة الكيفية التي يحصل بها الحمل، وامرأة إبراهيم عليه السلام سألت متعجبة من ولادة العجوز وزوجها شيخ كبير في السن وان سؤال امرأة إبراهيم قد أنكرته الملائكة عليها تعجبها قالوا : (قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ) (سورة هود: الآية، 73) (القيسي، 2011، صفحة 121) يقول الإمام الزمخشري في تفسيره:((لأنها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات، والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر، ولا يزدهيها ما يزدهي النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وأن تُسبّح لله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة – صلوات الله عليهم في قولهم: رحمة الله وبركاته عليكم أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة، ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة، فليست بمكان عجب)) (الزمخشري، 1991، صفحة 217/3)

رابعا: قال تعالى في قصص نوح عليه السلام : (وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)(سورة هود: الآية، 31)وقال محمد ﷺ وحياً قرآنياً من ربه قريباً مما قال نوح، قال له ربُّهُ : (قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ)(سورة الانعام: الآية، 50)يرى الدكتور القيسي: أن نوحا عليه السلام قال: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ لان كلامه كان مباشرا لقومه، أما محمد(ﷺ) فكلامه بتوجيه من الله عز وجل أي قل يا محمد هذا القول ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ وقد ذكر توجيه الله تعالى لمحمد بقوله:(قل ثلاثمئة مرة وواحدا وثلاثين) ويمكن ان يكون هذا التفريق راجعا الى ان محمدا (ﷺ) أُنزل عليه كتاب(القران) وتلقى وحيه باللفظ والمعنى اما نوح عليه السلام فلم ينزل عليه كتاب وانما يتلقى تعاليمه بالمعنى من الله ثم يصوغها بلغته ثم ذكر القرآن قول نوح هذا باللغة العربية، ولهذا جاء كلامه مباشرا، وان هذه المتابعة والتوجيه المباشر يمكن ان تكون نوعاً من الخصوصية التي جعلها الله لمحمد خاتم الأنبياء دون سائر الأنبياء(القيسي، 2011، صفحة 61)

أن الرسولين الكريمين عليهما السلام قالا : ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ، وأن خزائن الله تعالى وعلم الغيب جُمِعا بقول واحد لأن هذا ما اختص به الله تعالى، أما (الملك) فهو أجنبي عليهما، ولذلك أفرد بقول مستقل بدأ بعبارة (ولا أقول) في حين قال بَعْدَ هذين التعبيرين : ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فقد تكرر التعبير ولهذا جاء بعبارة مستقلة (ولا أقول)، وأن محمداً (ﷺ) قال:(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ)، أما نوح فقال :(وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) حاذفاً الجار والمجرور وهما (لكم) وهذا يعني زيادة اهتمام رسولنا الكريم (ﷺ) بقومه الذين يخاطبهم، لأن عبارة (لكم) فيها تخصيص للجماعة وتنبيه لهم(القيسي، 2011، صفحة 62)

وان قول نوح : (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ الله خيرا) يقول الدكتور القيسي: ((ان عبارة اللذين تزدري أعينكم هي عبارة وسط، ثم هي تتضمن (نفيا) غير مباشر ينفي أنهم مُزدرون فعلا، وإنما هم مزدرون في أعينكم أنتم وليس على الحقيقة، لأن أعينكم لا ترى الحق بل إنها مصابة بالعمى دون رؤية الحق أما قال لهم في الآية الثامنة والعشرين السابقة : (قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ) (سورة هود: الآية، 28) وهذه العبارة تختلف كثيراً عن قولنا : للمزدرين في أعينكم، لأن (المزدرين) اسم، والاسم أدل على الثبات والتصاق الصفة بالموصوف من الفعل، لأن الاسم

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

يوحي بالديمومة أما الفعل فهو محدد بزمن والزمن المرتبط بالإنسان والحيوان كذلك محدود، لأن حياة الفرد أو الجماعة آيلة إلى الزوال، وقوله : (في أعينكم) تختلف عن قولنا : (في أنفسكم) أو في قلوبكم لأن النفس والقلب يعبران عن (جوهر) الإنسان، خلافا للعين التي تعبر عن الظاهر، أرأيت الفرق الكبير بين كلام الله المعجز وكلام البشر؟ إن تغيير كلمة أو صياغة ينقلك من النقيض إلى النقيض من الكلام المعجز في سياقه إلى كلام عادي يعالجه البشر)) (القيسي، 2011، الصفحات 62-63)

خامسا: يوضح الدكتور القيسي: الإعجاز في قوله تعالى : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ)(سورة هود: الآية، 40)وفي سورة (المؤمنون) قال تعالى: (فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ)(سورة المؤمنون: الآية، 27) ، حيث قال في سورة هود: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَ أَمۡرُنَا) وفي سورة (المؤمنون) قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ أَمۡرُنَا) ، ففي الآية ان لفظة العذاب الأولى سُبقت بالفعل (يأتي) لأنه يفيد السرعة وعدم التلبث اما الثانية فقد سبقت بالفعل (يحل) لأن (يَحِلُّ) تفيد التلبث والبقاء، لأنك تقول : حل الرسول ﷺ ضيفا على أخواله بني النجار، عند هجرته إلى المدينة، فدل الفعل (يحل) على الديمومة مع عذاب الاخرة ودل الفعل(يأتي) على السرعة والزوال مع عذاب الدنيا ، وان الآية الاولى تفيد التراخي لوجود(حتى) في النص اما في الآية الثانية فخلا النص من (حتى) وهذا يدل على السرعة وعدم البطء ويرى الدكتور القيسي: ان ذلك راجع الى امرين اولهما: ان قصة الطوفان في سورة هود عدد آياتها اكثر وهي ثلاث وعشرون آية، من سورة (المؤمنون) التي عددها آياتها سبع فقط فكثرة الآيات ناسبت التعبير المتراخي وقلة الآيات ناسبت التعبير السريع، اما الامر الثاني: فان الله عندما أمر نوح عليه السلام ان يصنع السفينة جاء بالفعل المضارع (وَيَصۡنَعُ الفلك)، الذي يفيد التراخي وطول المدة في سورة هود قال: (وَيَصۡنَعُ الفلك)، فناسب هذا التطويل في الصنع التراخي في النص، أما في سورة المؤمنون فقد ذكر الفعل حينها ولم يرده لأنه اراد قوله تعالى : (فَأَوۡحَيۡنَا إِلَيۡهِ أَنِ أَصۡنَعِ الْفُلْكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا) ، ولهذا ناسب ثني عملية الصنع ثنيه في النص بحيث ذكرت الفاء مع (إذا)، ولم يذكر (حتى) التي تفيد التراخي(القيسي، 2001، الصفحات 105-106)

وأما لفظة (أمرنا) التي ذكرت في السورتين يرى الدكتور القيسي: انها تفيد ثلاثة معان أولاً: أَمْرَ الله للسماء أن تنهمر بالماء، وللأرض أن تتفجر بالماء وانه لم يأمرها بصيغ الامر المعهودة وانما اخباره بذلك يكفي أما قال تعالى : (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)(سورة يس: الآية، 82)وإن أشياء العالم اجمع من حجر ونبات وانسان (تعقل) أمر الله تعالى وإن كنا نحن البشر لا نفقه او نعرف كيفيته، والا لفقهنا تسبيح الكون له : (تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا) (سورة الاسراء: الآية، 44) والثاني: انها تعني أَمْرَهُ للأرض أن تبلع ماءها وللسماء أن تكف عن الانهمار : (وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي)(سورة هود: الآية، 44) والثالث: أمره لنوح عليه السلام من كل زوجين اثنين واهله ومن آمن في السفينة : (قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ) (سورة هود: الآية، 40) (القيسي، 2001، صفحة 106)

أما عبارة ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ) يقول الدكتور القيسي: ((انها تعني أنه أوّل مكان في موقع الطوفان تفجر منه الماء، قبل أن يُفجر الله تعالى الأرض عيوناً، العين الأولى التي انفجرت كانت في التنور، وكان أول الأماكن في ذلك الموقع تفجراً إنما هو التنور، لأن الناس يجعلون التنور في أخفض منطقة، وأخفض منطقة كما يقول علماء الأرض إنما هي أوّل منطقة مرشحة للانفجار بالماء)) (القيسي، 2001، الصفحات 106-107)

وفي (هود) قال تعالى: (أحمل) وفي (المؤمنون) قال: (فَاسْلُك) فلماذا استعمل لفظة هنا واستعمل لفظة أخرى، يرى الدكتور القيسي : أن الله تعالى في سورة هود قال : (وَيَصۡنَعُ الْفُلْكَ) وفي سورة (المؤمنون) لم يذكر هذه العبارة، ويذكر أن جملة (ويصنع) توحي بالجهد والتعب مما كان يحصل لنوح مع قومه ويعاني منه في صنع السفينة فضلا عن أنها تشعرك في قلب الحدث، غير أن (الحمل) فيه من المشقة أكثر مما في (السَّلْكِ) مع أن الحمل والسلك كل منهما تعني أن نوحاً (أدخل) ما أمره به ربه في السفينة، والسلك أمر سهل يسير، فناسب الفعل الشاق (احمل) مع الفعل الشاق (ويصنع الفلك) أكثر من الفعل السهل اليسير وان(الحاء) في الفعل (احمل) يوحي صوتها بشدة لا توحي بها (السين) المهموسة في (اسلك) وقوله تعالى: ﴿ مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ اثۡنَيۡنِ ﴾ يعني ذكرا وأنثى من كل نوع من أنواع الحيوان والنبات، لأن الحياة مبنية على الزوجية. أما قال تعالى : (وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)(سورة الذاريات: الآية، 49)وقد قدم حمل الزوجين من كل شيء قبل اهله والذين معه إشارة إلى أهمية تلك الحيوانات

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

والنباتات في الحفاظ على حياة الإنسان البيئة الصالحة، اذ لولاهم لاختل التوازن على سطح الأرض فالنباتات مثلاً تعمل توازنا بين الأوكسجين الذي يتنفسه الإنسان وبين الغازات الأخرى ، فهي تفيد في تلطيف الجو وفي كثرة الأمطار، وترجع فائدته لصحة الإنسان (القيسي، 2001، صفحة 108)

سادسا : قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)(سورة هود: الآية، 47)وقال على لسان موسى عليه السلام : (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)(سورة القصص: الآية، 16) يرى الدكتور القيسي : انه جاء بالشرط بـ (إن) والشرط يفيد بـ أن الجزاء متوقف على حصول فعل الشرط، وهذا يعني أن طلب نوح من ربه أن يغفر له ويرحمه، لم يأتِ مُباشراً وإنما جاء معلقاً بصيغة الشرط، اما في الآية الثانية فطلب موسى المغفرة طلبا مباشرا، ومع أن صيغة الأمر مع لفظ الجلالة تعني الدعاء غير أن الإيحاء المتسرب إلى نفس القارئ أو السامع أن هنالك جرأة في الطلب ، يمكن ان يكون الداعي هو الفرق في الشخصية بين كل منهما، فنوح عليه السلام كان عمره ما يقارب ألف سنة أو اكثر اما قال الله : (لَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا) (سورة العنكبوت: الآية، 14) فقد امضى الف سنة الا خمسين عاماً فهذه مدة دعوته فكيف بعمره ولهذا كان دعاؤه من ربه دعاء الشيخ الوقور الذي يجيد طلب ما يريده بفضل تجربته الطويلة ولا يعجل في الأمر (القيسي، 2001، الصفحات 157-108) فعند سأله مثلا عن ابنه: (لماذا لم يُنجِه الله تعالى وهو من أهله؟) لم يطلب ذلك بصيغة السؤال من الله وانما جاء بالصيغة الخبرية الخالية من الانكار فقال : (رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ) (سورة هود: الآية، 45) أما الآية الثانية فموسى عليه السلام كان شاباً يافعاً في قرابة العشرين من عمره، ولهذا اخذه اندفاع الشباب أما تراه عندما طلب منه الرجل المعونة وكان هذا من شيعته على عدوه لم يتريث وإنما هجم مباشرة نحوه فوكزه فقضى عليه ولهذا عندما طلب من ربه المغفرة لم يتريث كنوح عليه السلام، وإنما طلب ذلك مباشرةً بصيغة الامر التي توحي بالجرأة وكذلك عندما توجه الى (مَدۡيَنَ)، هارباً من فرعون وملأه الذين قتل منهم الرجل ، فوجد الامرأتان والرعاة يسقون أغنامهم : (وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ) (سورة القصص: الآية، 23-24)ولم يذكر في القرآن ان موسى عليه السلام قال غير كلمة(فما خطبكما) فهو لم يسألهما عن أي شيء سأل مباشرة وكذلك ابنتي شعيب عليه السلام اجابته بأجابة كافية شافية ليس فيها مما يدعو للسؤال مرة اخرى (لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ) فهو لم يتريث ولم يتردد ولم يفاوض الرعاة وإنما اسرع مباشرة بغنم المرأتين يسقيها ثم جلس تحت الظل، فلو كان نوحاً مكانه أيسرع بالغنم يسقيها دون أن يتريث ودون أن يفاوض الرعاة، اما انا فأرى أنه سيتريث ويفاوض الرعاة (القيسي، 2001، صفحة 158)

يقول الدكتور القيسي : ((لاحظ أن آيتي القصص السابقتين حملت ثلاث لطائف الأولى : أن ابنتي شعيب عليه السلام اعتذرتا عن رعيهما لغنم أبيهما لأنه شيخ كبير، إذ لو كان كهلا قويا لما تكفلتا رعاية الغنم. وفي قولهما:(وأبونا شيخ كبير) لطيفة جداً بل لفتة تستدرُّ الدمع من شؤون العيون، يا لله، كيف تضطر الفتاة بنت الأكرمين وهل أكرم من الأنبياء ؟ أن ترعى الغنم فتقاسي الحر والبرد ووعثاء الطبيعة من أجل أن توفر كرامة أبيها عن ذل السؤال، ومن أجل أن تعيش مستورة ا تأكل بثدييها كما قال أجدادنا ! الثانية : أنه يباح للمرأة أن تعمل خارج البيت عندما تضطرها الظروف إلى ذلك والظروف التي تضطر المرأة للعمل خارج البيت كثيرة في هذا العصر، حتى اصبحت المرأة (مجبرة) أن تعمل لتعيش من كسبها ولتساعد أبويها أو زوجها واولادها، هذا في الأعم الأغلب. الثالثة: أنه يجب على المرأة أن تبتعد عن الاختلاط مع الرجال ما أمكن، إن ابنتي شعيب كانتا تذودان غنمهما عن الماء حتى يُصدر الرعاء، لأنهما تريان أن تأخير إسقاء غنمهما حتى يُصدر الرعاء أولى من الاختلاط بهؤلاء الرعاء حتى وإن كانوا يسمحون لهما بأن توردا غنمهما معهم بل في مقدمتهم، لأن كرائم النساء تُوجب الا يتصرفن تصرفا يخدش كرامتهن. ولعل ذلك كان بتوجيه من أبيهما الشيخ الكبير النبي في الوقت نفسه)) (القيسي، 2001، صفحة 109)

فإن هذا القرآن المعجز الذي لا يتناقض أبدا : (فَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا) (سورة النساء: الآية، 82)لا يأتي بقول ثم يخالفه في موطن آخر بقول آخر فآياته كلها تجري في نسق واحد، وكأن القرآن كله سورة واحدة بل آية واحدة لا يتناقض طرفاها ولا تقع فيها كلمة في غير موقعها أو تنبو عن أخواتها او تسد مسدها.

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

الخاتمة : من اهم النتائج التي توصل اليها في هذا البحث هي:

1_ يرى الدكتور القيسي ان وجه الاعجاز البياني هو ابرز وجوه الاعجاز القرآني لأنه يظهر في جميع آيات القرآن الكريم اما الوجوه الاخرى فهي في آيات متعددة مثل الاعجاز الغيبي.

2_ ان الالفاظ وان كانت مشتقة من اصل لغوي واحد الا انها وضعت لمعنى مخصوص بدلالة خاصة.

3_ ان الدكتور القيسي قد تعرض للأعجاز البياني بجميع مستوياته النحوي والبلاغي والصرفي والصوتي.

4_ ان القول بالترادف في القران الكريم مردود لأن الترادف يقع في كلام البشر فقط لأنه قاصر عن كلام الحق عز وجل.

5_ يوضح الدكتور القيسي التقديم والتأخير والحذف والمبني لما لم يسم فاعله والتشابه والاختلاف في النص القرآني لحكمة وبلاغة يقتضيها النص القرآني .

المصادر

ابن جني، أبو الفتح. (1999). *المحتسب*. مصر: وزارة الأوقاف.

ابن السراج، أبو بكر محمد. (2001). *الأصول في النحو* . (عبد الحسين الفتلي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن فارس، أحمد. (1993). *معجم مقاييس اللغة*. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1994). *لسان العرب* (المجلد 3). بيروت: دار صادر.

البغدادي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم. (2002). *الأكسير في التفسير* (المجلد 2). (عبد القادر حسين، المحرر) بيروت : دار الأوزاعي للطباعة والنشر.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. (2002). *البيان والتبيين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الجدع، أحمد. (2000). *معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين* (المجلد 1). الأردن: دار الضياء للنشر والتوزيع.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (2004). *دلائل الإعجاز*. (محمود محمد شاكر، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجوهري، أبو نصر أسماعيل بن حماد. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (المجلد 4). (أحمد عبد الغفور عطار، المحرر) بيروت : دار العلم.

الحلبي، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف. (1994). *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون* . (علي محمد معوض، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (2000). *إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني*. الأردن: دار عمار.

رابطة الأدب الإسلامي العالمية. (بلا تاريخ). *www.adabislami.org*.

الرازي، أبو عبد الله محمد فخر الدين. (2000). *مفاتيح الغيب– التفسير الكبير* (المجلد 2). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرماني، علي بن عيسى. (1968). *النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن* (المجلد 2). (محمد خلف الله، المحرر) مصر: دار المعرف.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. (2003). *دراسات في علوم القرآن الكريم* (المجلد 12). دار المنار.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد مرتضى. (1989). *تاج العروس من جواهر القاموس*. بيروت: دار الهداية.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (2006). *البرهان في علوم القرآن*. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.

الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود. (1991). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل*. (عادل احمد، المحرر) بيروت: مكتبة العبيكان.

السامرائي، فاضل صالح. (2002). *على طريق التفسير البياني* (المجلد 1). النشر العلمي جامعة الشارقة.

السامرائي، فاضل صالح. (2013). *التعبير القرآني* (المجلد 1). بغداد: مكتبة رشيد الهجري.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (1988). *الكتاب* (المجلد 3). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) مصر : مكتبة الخانجي.

الشحود، علي بن نايف. (2020). *الاعجاز اللغوي والبياني في القران الكريم* .

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

عبد الجبار، أبي الحسن . (2012). *المغني في ابواب التوحيد والعدل*. بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الرحمن، عائشة. (2003). *الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق* (المجلد 3). دار المعارف.

عبد السلام، مصطفى. (1991). *الحذف البلاغي في القران الكريم* . مصر : مكتبة القران للطبع والنشر والتوزيع.

عكاشة، محمود. (2005). *التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة*، (المجلد 1). دار النشر للجامعات مصر.

القيسي، عودة الله منيع. (1996). *سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن* (المجلد 1). الأردن: دار البشير للنشر والتوزيع.

القيسي، عودة الله منيع. (2001). *الاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام في القران الكريم* (المجلد 1). عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.

القيسي، عودة الله منيع. (2011). *الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم* (المجلد 1). دار البداية ناشرون وموزعون،.

الكرماني، محمود أبو القاسم برهان الدين. (1998). *أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان*. (عبد القادر أحمد عطا، المحرر) بيروت: دار الفضيلة.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (2003). *علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)* (المجلد 1). طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب.

Arabic Translated References

Abdul Jabbar, Abu Al-Hassan. (2012). *Al-Mughni in the chapters of monotheism and justice*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

Abdul Rahman, Aisha. (2003). *The rhetorical miracle of the Quran and the questions of Ibn Al-Azraq* (Volume 3). Dar Al-Maaref.

Abdul Salam, Mustafa. (1991). *Rhetorical deletion in the Holy Quran.* Egypt: Library of the Quran for Printing, Publishing and Distribution.

Al-Baghdadi, Sulayman ibn Abd al-Qawi ibn Abd al-Karim. (2002). *Al-Aksir fi al-Tafsir* (Volume 2). (Abdul Qadir Hussein, editor). Beirut: Dar al-Awzai for Printing and Publishing.

Al-Halabi, Shihab Al-Din Abu Al-Abbas bin Youssef. (1994). *Al-Durr Al-Masun fi Ulum Al-Kitab Al-Maknun. (Ali Mohamed Moawad, editor)* Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

Al-Jada, Ahmad. (2000). *Dictionary of Contemporary Islamic Writers* (Volume 1). Jordan: Dar al-Diaa for Publishing and Distribution.

Al-Jahiz, Amr ibn Bahr ibn Mahbub. (2002). *Al-Bayan wa al-Tabyin*. Beirut: Dar and Library of Al-Hilal.

Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad. (1987). *Al-Sihah Taj Al-Lughah and the Correct Arabic* (Volume 4). (Ahmed Abdel Ghafour Attar, editor) Beirut: Dar Al-Ilm.

Al-Jurjani, Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman. (2004). *Evidence of the Miracle*. (Mahmoud Mohamed Shaker, editor) Cairo: Al-Khanji Library.

Al-Karmani, Mahmoud Abu Al-Qasim Burhan Al-Din. (1998). *The Secrets of Repetition in the Qur'an Called Al-Burhan in Guiding the Similarities of the Qur'an for What It Contains of Argument and Explanation. (Abdul Qader Ahmad Atta, Editor)* Beirut: Dar Al-Fadhila.

Al-Khalidi, Salah Abdel Fattah. (2000). *The rhetorical miracle of the Qur'an and evidence of its divine source.* Jordan: Dar Ammar.

Al-Maraghi, Ahmad bin Mustafa. (2003). S*ciences of Rhetoric (Eloquence, Meanings, and Badi')* (Volume 1). Tripoli: Modern Book Foundation.

Al-Qaisi, Awdat Allah Mani'. (1996). *The Secret of the Miracle in the Diversity of Formulas Derived from One Linguistic Origin in the Qur'an* (Volume 1). Jordan: Dar Al-Basheer for Publishing and Distribution.

Al-Qaisi, Awdat Allah Mani'. (2001). *The Linguistic Miracle in the Stories of Noah, Peace Be Upon Him, in the Holy Qur'an* (Volume 1). Amman: Dar Ammar for Publishing and Distribution.

Al-Qaisi, Awdat Allah Mani'. (2011). *The Linguistic Miracle in the Holy Qur'an* (Volume 1). Dar Al-Bidaya Publishers and Distributors.

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27

Al-Razi, Abu Abdullah Mohamed Fakhr Al-Din. (2000). *Keys to the Unseen - The Great Interpretation* (Volume 2). (Mohammed Abu Al-Fadl Ibrahim, editor) Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.

Al-Rumani, Ali bin Issa. (1968). *Jokes on the Miracle of the Qur'an, in Three Letters on the Miracle of the Qur'an* (Volume 2). (Muhammad Khalaf Allah, editor) Egypt: Dar Al-Ma'rif.

Al-Rumi, Fahd bin Abdul Rahman bin Sulaiman. (2003). *Studies in the Sciences of the Holy Qur'an* (Volume 12). Dar Al-Manar.

Al-Samarra'i, Fadhel Saleh. (2002). *On the Path of Rhetorical Interpretation* (Volume 1). Scientific Publishing, University of Sharjah.

Al-Samarra'i, Fadhel Saleh. (2013). *Quranic Expression* (Volume 1). Baghdad: Rashid Al-Hijri Library.

Al-Shahood, Ali bin Nayef. (2020). *Linguistic and rhetorical miracles in the Holy Quran*.

Al-Zamakhshari, Jar Allah Abi Al-Qasim Mahmoud. (1991). *Al-Kashaf 'an Haqa'iq Ghawamid Al-Tanzil wa Uyun Al-Aqawil fi Wujooh Al-Ta'wil. (Adel Ahmad, editor)* Beirut: Al-Ubaikan Library.

Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah. (2006). *Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an. (Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, editor)* Beirut: Al-Maktaba Al-Asriya.

Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad Murtada. (1989). *Taj Al-Arous min Jawahir Al-Qamus.* Beirut: Dar Al-Hidayah.

Ibn al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad. (2001). *The Origins of Grammar.* (Abdul Hussein al-Fatli, editor). Beirut: Al-Risala Foundation.

Ibn Faris, Ahmad. (1993). *Dictionary of Language Standards. (Abdul Salam Muhammad Harun, editor).* Beirut: Dar al-Fikr for Printing and Publishing

Ibn Jinni, Abu al-Fath. (1999). *Al-Muhtasib. Egypt: Ministry of Endowments.*

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram. (1994). *Lisan al-Arab* (Volume 3). Beirut: Dar Sadir.

International Association of Islamic Literature. (No date). www.adabislami.org.

Okasha, Mahmoud. (2005). *Linguistic analysis in the light of semantics,* (Volume 1). Dar Al-Nashr for Universities, Egypt.

Sibawayh, Amr bin Othman bin Qanbar. (1988). *The Book* (Volume 3). (Abdul Salam Muhammad Harun, Editor) Egypt: Al-Khanji Library.

DOI: https://doi.org/10.47831/1qaecv27